كُنّاشة: (٢٤)

علماء البحرين في مملكة غُولكُونْدَة

إبراهيم عليّ السّفسيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا مُحمَّد وأهلِ بيته الطَّاهرين.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

****

المملكة القطبيّة الشّيعيّة أو المملكة القطب شاهيّة أو سلطنة غُولكُونْدَة(٩١٨-١٠٩٩هـ)، هي مملكة/سلطنة متأسّسة على أنقاض الدّولة البهمنيّة(٧٤٨-٩٣٢هـ)، حيث توافرت على ثروات معدنيّة نفيسة وأراضٍ خصبة، فحكمت معظم مناطق هضبة الدّكن ببلاد الهند.

وتسمية هذه المملكة بالقطب شاهيّة نسبة إلى مؤسّس المملكة سلطان قلي قطب ملك(حكم: ٩١٨-٩٥٠هـ). وهو سليل أعرق السّلالات الملكيّة التّركمانيّة (القره قوينلو) الّتي حكمت إيران والعراق وأذربيجان.

أمّا تسميتها بسلطنة غُولكُونْدَة، والّتي تعني في اللّغة التّيلغويّة بـ(تلّة الرّاعي)، فعائد إلى أن راعيًا صغيرًا وجد تمثالًا ذهبيًّا على تلّة، ولاحقًا بُنيت على تلك التّلّة قلعة حملت هذا المسمّى. ثمّ جُعلت دارًا للملك، وبُني حولها سور عظيم.

بذل مؤسّسها السّطان قلي قطب ملك، بعد أنْ استتبّت له الأمور، جهوده الكبيرة في نشر المذهب الإماميّ الاثني عشريّ فيها، فاستقدم العلماء من إيران والعراق وأفغانستان وجبل عامل والبحرين وغيرها، وأقام الرّوابط القويّة مع الصّفويّين؛ إعجابًا منه بالخطوات التي اتّخذوها، لاسيّما الشّاه عبّاس الأوّل(حكم: ٩٩٥-١٠٣٨هـ)، في نشر التّشيّع وحمايته من الاضطهاد المذهبيّ.

لاحقًا، وبفضل ملوكها/سلاطينها المحبّين للعلم والأدب والباذلين لروّادهما، ازدحم في بلاطهم الحكماء والفقهاء والفنّانون والشّعراء، ما أسهم في أنْ تشهد هذه السّلطنة نهضة أدبيّة على مستوى عموم بلاد الهند.

وقد حفّز هذا العديد من علماء البحرين -بحدودها القديمة- إلى الهجرة إليها أو السّفر لاستكشافها. حيث أحصينا منهم:

١. الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ(١٠١٤-١٠٩١هـ): وصل عاصمتها (حيدر آباد) سنة ١٠٦٩هـ. وكان سبب هجرته إليها أنْ: "اتّفقا [الشّيخ جعفر والشّيخ صالح الكرزكّانيّ] على أنْ يمضي أحدهما إلى الهند ويُقيم الآخر في بلاد العجم، فأيّهما أثرى أوّلًا أعان الآخر. فسار الشّيخ جعفر إلى بلاد الهند واستوطن حيدر آباد وبقي الشّيخ صالح في شيراز.

فكان من التّوفيقات الرّبّانيّة والأقْضية السّماويّة السّبحانيّة، أنّ كلًّا منهما [الشّيخ جعفر والشّيخ صالح] صار علمًا للعباد، ومرجعًا في البلاد، وانقادت له أزمّة الأمور، وحاز سعادة الدّنيا والدّين والورود والصّدور"[١].

٢. السّيّد محمّد بن عبدالحسين آل شبانة البحرانيّ(١١١٨هـ): قال السّيّد علي خان المدنيّ: "دخل الدّيار الهنديّة فاجتمع بالوالد [السّيّد أحمد الدّشتكيّ نائب السّلطان]

[١] الشّيخ يوسف البحرانيّ، لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث: ٦٦- ٦٧.

ومدرحه بمدائح نقضت عزل الحارث بن خالد فعرف له حقه، وقابله بالإكرام بما استوجبه واستحقّه، وذكره عند مولانا السّلطان بما قدّمه لديه، وملأ من المواهب الجليلة يديه. ولما قضى آماله من مطالبها ارتحل إلى الدّيار الأعجميّة وقطن بها، فلقي بها تحيّة وسلامًا، وتنقل في المراتب حتى ولي شيخ الإسلام. وهو الآن قاطن بإصبهان[سنة ١٠٨٢هـ] رافع من قدر الأدب ما هان"[١].

٣. السّيّد عبدالله بن السّيّد محمّد بن عبدالحسين آل شبانة البحرانيّ(حيًّا:١٠٨٢هـ): قال السّيّد علي خان المدنيّ: "هو أحد مَن خدم الوالد ومدحه، وأروى زند فكره وقدحه. ولم يزل في فيض فضله وسعته بين خفض العيش ودعته، حتّى صدرت من هفوة بعد هفوة، كدّرت من مورد إقباله صفوة. فلمّا علم سقوط منزلته لديه وعرف، ودّع حضرته السّامية وانصرف"[٢].

٤. الشّيخ عبدالوهّاب بن محمّد بن عبدالوهّاب وابنه الشّيخ إبراهيم(حيًّا: ١٠٧٠هـ): قال السّيّد أحمد الحسينيّ في "كان يُقيم في المدينة المنوّرة سنين، وكتب بها نسخة من كتاب (الذّريعة) للسّيّد المرتضى في سنة ١٠٦٨. وله عليها تعاليق قليلة جدًّا تدلّ على فضله. والظّاهر أنّه بعد ذلك انتقل إلى (حيدر آباد) حيث وهب في سنة ١٠٩٠[الصحيح ١٠٧٠هـ] النّسخة إلى ولده الشّيخ إبراهيم، واستعارها من الولد جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ"[٣].

٤. وعليّ بن أحمد بن سليمان(حيًّا:١٠٨٢هـ): قال الآغا بزرك الطّهرانيّ: "كتب بخطّه - النّسخ الجيّد- في حيدر آباد ١٠٨٢هـ أرجوزة (غاية الأماني في نظم تهذيب المنطق) تأليف صالح بن صدّيق النمازيّ الأنصاريّ الخزرجيّ، مع أرجوزة (المعاني والبيان)"[٤].

---

[١] انظر: سلافة أهل العصر في محاسن أهل الدّهر: ٢/٨٠٥-٨١٦.

[٢] انظر: السّابق: ٢/٨١٦-٨٢٩.

[٣] تراجم الرّجال: ٢/١٣٥.

[٤] طبقات أعلام الشّيعة.. الرّوضة النّضرة في علماء المائة الحادية عشرة: ٨/٣٧٧.

٥. والشّيخ عيسى بن صالح بن عصفور الدّرازيّ(١٠٨٨هـ): وقد مدح الشّيخ جعفر بن كمال الدّين البحرانيّ يوم أنْ وفد عليه في مملكة غولكوندة بالهند، حين صار زعيم العلماء فيها، بقصيدة جميلة فأناله جائزة سنيّة. قال فيها:

"الهِنْـــدُ بَعْدَ صَلَاةِ اللَّيْلِ فِي القَدَمِ

يَا ضَيْعَـــةَ العُمْرِ بَلْ يَـــا زلَّةَ القَدَمِ

إلى قوله:

رَأَيْتُ شَخْصًا كَـــــــــأَنَّ اللهَ قَلَّدَهُ

أَعْـــــبَاءَ وَحْيٍ تَلَاهُ الرُّوْحُ بِالحُـكُمِ

فَـــتًى إِذَا المَرْءُ عَادَاهُ الزَّمَانُ دَعَا

بِجَـــــاهِهِ جَـــاءَهُ مِنْ جُمْلَةِ الخَدَمِ

أَيْنَ الأَكَابِرُ وَالسَّادَاتُ مِنْ هَجَرِ

شُمّ الأُنُوْفِ سَقَاهُ المَـــــحْلُ بِالدِّيَمِ

أَعْـــــطَى الإِلَهَ يَمِيْنًا فِي خَلَائِقِهِ

أَلَّا يَقِـــلَّ وَلَا يَلْـــوِي لَـــــــهَا بِفَـــمِ"[١].

٦. والشّيخ أحمد بن صالح بن حاجّي بن عليّ بن عبدالحسين بن شنبة الدّرازيّ(١١٢٤هـ): وقد ذكر الشّيخ يوسف البحرانيّ أنّه قام مقام الشّيخ جعفر بن

[١] انظر بقيّة القصيدة في: الشّيخ يوسف البحرانيّ، الكشكول المسمّى أنيس المسافر وجليس الحاضر: ١٠٤٨/٢-١٠٥٠.

كمال الدّين البحرانيّ في رئاسته العلميّة بسلطنة غولكوندة. قال: "إلى أنْ افتتح تلك البلاد[سلطنة غولكوندة] الشّاه أورنك زيب، فأمر بإخراج الأصناف منها كلّ بمقدّمه. فكان الشّيخ أحمد المذكور مقدّم مَن فيها من صنف العلماء، فأمر له بألف روبيّة. ورجع الشّيخ أحمد المذكور إلى بلاد العجم بعد أنْ حجّ بيت الله الحرام واستوطن في بلدة (جهرم) من توابع (شيراز).

وكان -قدّس سرّه- على غاية من الزّهد والورع والتّقوى والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والكرم، يُؤثر بماله الأضياف، وكان بيته دائمًا لاينفكّ عن جمع من الغرباء والواردين سيّما من أهل بلاد البحرين، وإمامًا في الجمعة والجماعة.

وكانت مكاتباته ترد على الوالد -رحمه الله- في البحرين لبعض المطالب الّتي له فيها. وكانت تلحقه الغشية والصّعقة في مقام ذكر شدائد الآخرة.

توفّي -رحمه الله- في شهر صفر من السّنة الرّابعة والعشرين بعد المائة والألف. وكان مولده -على ما رأيته بخطّه رحمه الله- في السّنة الخامسة والسّبعين بعد الألف"[1].

معلومة:

من علماء البحرين المدفونين في الحرم الحسينيّ:

١. الشّيخ يوسف البحرانيّ(١١٨٦هـ).
٢. السّيّد محسن البحرانيّ(١٢٠٤هـ).
٣. السّيّد محمّد بن عبدالله البحرانيّ(١٣٠٥هـ).

[1] لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث: ٦٨-٦٩.

٤. السّيّد عبدالله بن محمّد البحرانيّ(١٢١٠هـ).

٥. السّيّد محمّد باقر بن محمّد البحرانيّ(١٣٥٥هـ).

وممّا يُؤسف له أنّي لم أجد مَن ترجم لهم، باستثناء الشّيخ يوسف بطبيعة الحال.

السبت: ٢٩ شوّال ١٤٤٧هـ/ ١٨ أبريل ٢٠٢٦م.